(إنما بعثتم ميسرين)

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة نحيا عليها ونموت ونبعث يوم القيامة، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، اللهم صل عليه في الأولين والآخرين:

أما بعد.....

إن التيسير في شريعة الإسلام سِمَةٌ بارزة من سماتها، ومنحةٌ إلهيةٌ رفَعَ اللهُ بها شأنَ هذه الرسالة الخالدة؛ إذْ إنَّ المُتتبّع لأحكام الشريعة الغرَّاء في كلِّ أحوالها وجوانبها يُلاحظ التيسير هدفًا واضحًا؛ ولا أدل على ذلك من الآيات القرآنية التي جعلت التيسير سمة من سمات الشريعة، قال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ** ﴾ [الحج: 78]، وقال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة: 185]. وكذلك أحاديث سيدنا رسول الله التي بينت مقاصد الشريعة، قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**)؛ (أخرجه البخاري).

وقال صلى الله عليه وسلم قال: (**إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ**) (أخرجه أحمد). وقال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ**)؛ (أخرجه ابن حِبَّان).

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إِنَّ اللَّهَ لم يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، ولا مُتَعَنِّتًا؛ وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**)؛ أخرجه مسلم.

مظاهر التيسير في شريعة الإسلام:

إذا تتبعنا مظاهر التيسير في الإسلام نجدها كثيرة متوافرة، ونأخذ بعضا من مظاهرها:

1- أولى مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية فتح باب التوبة؛ قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر: 53] وقد يتعجَّب البعض؛ ولكن لكي نقف على يُسْر شريعة الإسلام، في فتح باب التوبة؛ فلا بُدَّ أن نتعرَّف على شرع من كان قبلنا : لما عَبَدَ قوم موسى العِجْل، وأرادوا التوبة، جعل الله لهم امتحانًا شديدًا لقبول توبتهم؛ وذلك بأن يقتلوا أنفسهم فيُغِير بعضهم على بعض، ويتقاتلوا بينهم، فكان قتل النفس شرطًا لقبول توبتهم؛ قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ**

أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: 54]. أمَّا في الإسلام : فيتجلَّى فضل الله وتيسيره على هذه الأُمَّة من خلال قبول توبة العاصي بمجرد الإنابة إلى الله والتوبة النصوح، فمن تاب وأقلع عن الذنب، وعزم على عدم العودة إليه، وردَّ المظالم إلى أصحابها، تاب الله عليه، وقَبِلَ منه.

2-ومِمَّا خفَّف الله به عن هذه الأُمَّة التيسير عليهم في باب الطهارة: فنجد أن طهارة الثوب في شرع من قبلنا كانت بقَطْع ما نالتْه النجاسةُ من الثوب؛ كما ورد في رواية الإمام أحمد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**كان بنو إسرائيل إذا أصاب ثوب أحدهم البول، قرضه بالمقراض**))، أمَّا في شريعة الإسلام : فيكفي أن نغسل مكان النجاسة مرةً واحدةً بماء طهور.

3-ومن مظاهر التيسير في الصيام: إباحة الفطر للمريض والمسافر والحامل والمرضع؛ قال الله تعالى: ﴿ **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ [البقرة: 184]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((**إنَّ اللهَ وضع عن المسافر نصف الصلاة والصوم، ورخَّص للحبلى والمرضع**))؛ [سنن النسائي]. وكذلك عدم الفطر لمن أكل أو شرب ناسيًا؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**من أكل ناسيًا وهو صائمٌ، فليتمَّ صومَه؛ فإنما أطعمه اللهُ وسقاه**))؛ [سنن النسائي].

*وهذه الأمثلة التي ذكرناها غيض من فيض، تدل على صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمانٍ ومكان، وأنها قائمةٌ على اليُسْر والتخفيف، وهذه ميزةٌ خاصَّةٌ بدين الإسلام؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**))، وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **أيُّ الأَدْيَانِ أَحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قال**: ((**الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**)) [رواه أحمد] والحنيفيَّة؛ أي: المائلة عن الباطل إلى الحقِّ، والسمحة؛ أي: السهلة اليسيرة.

وقد ذُكرت صفة الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه مُيسِّر ومُبشِّرٌ، ورافع لتلك الأغلال التي كانت على تلك الأمم السالفة، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [الأعراف: 157].

والمراد بالإصر: الشرائع الشديدة والتكاليف الشاقَّة التي كانت مفروضةً على الأمم قبلنا، وقد خفَّف الله تعالى عن هذه الأُمَّة الإسلامية، ووضع عنها الآصار والأغلال التي كانت على الأمم السابقة،

فأحَلَّ لها كثيرًا ممَّا حُرِّم على غيرها، ولهذا فالمسلم يدعو دائمًا بهذا الدعاء العظيم ﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: 286]، وجاء في الحديث الصحيح أن الله قال: ((قد فعلت))؛ يعني: استجبتُ دعاءكم، ووهبتكم ذلك الذي سألتموني إيَّاه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه: فضيلة الشيخ/ **عمرو يوسف الجندي** – مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.